مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 11 عدد: 4 السنة: 2022
ص: 484 - 498 | E ISSN: 2600-6634 /ISSN:2335-1586

اللسانيات وتحليل الخطاب:
قراءة في كتاب "تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي لنعيمة الزهري"
Linguistics and discourse analysis: A reading in the book: discourse analysis in functional grammar by Naima Zahri

د. هندة كبوسي*
Dr. hinda kebbouci
مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في النظام التعليمي الجزائري: الواقع والمأمول
جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي/ الجزائر
University of l'arbi ben mhidi –oum elbouaghi/ algeria
kebbouci.hinda@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال: 02 /08/ 2022	تاريخ القبول: 2022/10/27	تاريخ النشر: 2022/12/02

مُلخّص البحث

تتنزل هذه الورقة البحثية الموسومة بـ "اللسانيات وتحليل الخطاب: قراءة في كتاب "تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي لنعيمة الزهري" ضمن الخطاب اللساني العربي الوظيفي المعاصر، الذي استكمل عدّته النظرية لمقاربة الخطاب، وتهدف إلى مساءلة المرتكزات، التي أسسّت وفقها الباحثة حكمها النقدي، عبر إقامة حوار نقدي مع كتابها "تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي"، الذي راهنت عبره على تأكيد إنتاجيّة نموذج نحو الطبقات القالبي، لما يتيحه النموذج من إواليات وآليات وصورنة، ما لا تتيحه الأوصاف النقدية التقليدية.

وقد أوت الباحثة "نعيمة الزهري" إلى ركن شديد، في تحصيل مسعاها، المتمثّل في روز كفاية النحو الوظيفي الخطابية، وتنقيله من أنظومة المفاهيم الوظيفية، والمساطر النظرية إلى اختبار إجرائيته في تحليل وتفسير مختلف الخطابات المتباينة مجالا (ديني، أدبي، علمي، إشهاري)، أو آلية (وصفي، سردي، حجاجي)، أو مجالا وآلية (أدبي وصفي، أدبي سردي، إشهاري حجاجي)، فبرهنت الباحثة على فعالية نموذج نحو الطبقات القالبي بإحرازه قسطا معقولا من الإجرائية، وأثبتت كفاءته الأدائية، وانطباقيته على مختلف الخطابات الفعلية.

كلمات مفتاحية: لسانيات، خطاب، نحو وظيفي، نموذج مستعملي اللغة الطبيعية، نحو الطبقات القالبي.



* د. هندة كبوسي kebbouci.hinda@univ-oeb.dz

Abstract :

this research paper " Linguistics and discourse analysis: A reading in the book: discourse analysis in functional grammar by Naima Zahri" aims to question the basics from which the researcher has founded her critical judgment through the establishment of a critical dialogue with the book titled "Discourse Analysis in Functional Grammar" in which the author affirmed the productivity of the modular layered grammar due to what the model allows.

the researcher Naima Alzohri has proved the effectiveness of a modular layered de grammar by achieving a reasonable amount of procedural productivity,and proving its performance efficiency, in addition toits applicability.

Keywords: linguistics, discourse, functional grammar, modular layed de grammar.



مقدمة:

أملى منطق النضج النظري واستلزاماته على النظرية الوظيفية أن تنعتق من بوتقة التنظير المجرد إلى التطبيق العملي، وتحصّل الكفاية الإجرائية، متجاوزة الكفاية الوصفية والتفسيرية، وتلج إلى القطاعات الاجتماعية الاقتصادية والثقافية، في مقدّمتها تحليل الخطابات على اختلاف أنماطها مجالا وموضوعا وآلية وبنية.

وفي هذا السياق تظهر أهمية كتاب "تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي" لنعيمة الزهري، كونها تضع ضمن أهدافها رهانا معرفيا، متمثلا في البرهنة على الكفاءة الأدائية لنموذج نحو الطبقات القالبي (المتوكل (2003))، لما يتيحه من مقاربة الخطابات المتباينة مجالا وموضوعا وآلية وبنية. وعلى هذا الأساس سأعمل على الكشف عن المؤشرات النقدية التي ارتهن بها الحكم النقدي القائم على إنتاجية النموذج، معتمدة في ذلك على التنقيب في الحكم النقدي القائم على إنتاجية النموذج عبر محاورة العناصر الآتية: الأهداف والرؤية المنهجية والمتن والممارسة النقدية وخصوصيتها النوعية*.

1- الأهداف والرؤية المنهجية:

يغيب التصريح بأهداف العمل الذي قدّمته الباحثة "نعيمة الزهري"، غير أنّنا نعثر على إشارات متفرّقة، أوردتها الباحثة في مقدّمة الكتاب، وفي معرض حديثها عن مستنداتها النظرية ومنطلقاتها المنهجيّة، نستقي منها نوعين من الأهداف: أهداف منهجيّة ترتبط بالبرهنة على إنتاجية نموذج نحو الطبقات القالبي

وأهداف معرفية، تتمثل في البرهنة على إمكانيّة إرجاع أنماط الخطابات المختلفة إلى بنية نموذجيّة واحدة "بنية الخطاب النموذجية"، غير أنّ ما يهيمن على هذه الإشارات الوشاية بالأهداف المنهجيّة الممثّلة في "الخروج بالنحو الوظيفي من التنظير المجرّد إلى التّطبيق العملي، وتوسيع دائرة إجرائيّته، يزجّى إلى توسيع مفهوم الكفاية ذاته، فيضحي من مطامحه لا إحراز الكفاية التقليدية (الوصفية والتفسيرية)، بل تحصيل درجة معقولة مما أسماه "الكفاية الإجرائية"[1].

أما عن نوعيّة المنهج المطلوب تطويره، وروز إجرائيته في تحليل خطابات فعليّة، فقد ألمحت الباحثة إلى بقولها: "وتقاضاني كثير من الإخوان أن تستكمل العُدة النظرية لمقاربة الخطاب، وأزمعت أن أروز نموذج نحو الطبقات القالبي* (المتوكل(2003)) على خطابات متغايرة الأرومة: أدبية وصفية، وعلمية جغرافية، وسيرة ذاتية وإشهارية، وهي الخطابات التي أوردتها هذا المؤلف، قائلة لنفسي إن أُتيح لي النّجاح فرمْية من غير رَامٍ، وإن كتب على الإخفاق فما أكثر المخفقين"[2].

وجاءت الأهداف المعرفية وثيقة الصلة بالأهداف المنهجيّة، ومترتّبة عنها، وتتمثل في الإقدام على رصد "البنية النموذجيّة" لمختلف الخطابات الأدبية والوصفية والعلمية والإشهارية؛ إذ تقول "نأمل أن نكون قد أسهمنا مع المسهمين من زملائنا الوظيفيين في البرهنة على إمكان إرجاع أنماط الخطاب المختلفة إلى بنية عامة واحدة "بنية الخطاب النموذجيّة"، كما سيطرت في (المتوكل (2003))، فأنماط الخطاب تتمايز من حيث المضمون ومن حيث الشكل، لكنّها على تمايزها مضمونا وشكلا آيلة إلى بنية خطابيّة عامة واحدة، ثوابتها في التداول والدلالة والتركيب"[3].

يمكن للمتأمل في أهداف الدراسة أن يحدّد الرؤية المنهجية المتحكّمة في الباحثة "نعيمة الزهري"؛ حيث يتّضح أنها رؤية تكشف عن النقلة القطاعية للبحث اللساني الوظيفي، بتسخير آليّاته، واستثمار نتائجه في مجال حيوي: مجال تحليل الخطاب. ومن هنا فالباحثة تتبنّى الجهاز المفاهيمي المتعلق "بنظرية النحو الوظيفي" لانخراطهما في إطار المنحى اللساني الوظيفي العربي، كونه امتدادا طبيعيّا للفكر اللغوي العربي التراثي، بسبب هذا التّداخل النوعي بين علمين تفصلهما مسافة زمنية ومفاهيمية مختلفة في خطاباتها وأهدافها، أمكن القول إنّ دراسة الباحثة تنبني دراستها على المسار المنهجي والجهاز المفاهيمي "لنظرية النحو الوظيفي" وعلى وجه التدقيق "نموذج نحو الطبقات القالبي"؛ لأنّ مع هذا النموذج ظهر الاهتمام أكثر بالخصائص التداولية والدلالية والتركيبية، كونها نظرية نحوية مؤسسة تداوليا [4]، تطمح منذ نشأتها (ديك 1978) إلى الربط بين بنية اللسان الطبيعي ووظيفته الأساسية، وظيفة إتاحة التواصل

داخل المجتمعات البشرية، فكان من الطبيعي أنْ تتّخذ موضوعا لها لا الجملة الواحدة بل الخطاب، أي النص مؤطرا بظروف إنتاجه[5]، بالرغم من أنّ تصوّر نظرية النحو الوظيفي –منذ نشأتها- نظرية خطاب لا نظرية جملة، إلا أنّ المقاربة الوظيفية في نموذج ما قبل المعيار (سيمون ديك 1978) اقتصرت على مقاربة قسمين من أقسام الخطاب، وهما الجملة والمركب الاسمي، أما في النموذج المعيار (سيمون ديك 1997) فقد اقترحوا صوغ بنية النص وإسقاطها على بنية الجملة، على أساس تماثل بنياتها من حيث المكوّنات والوظائف والعلائق، ليبذل اللسانيّون الوظيفيون جهودهم في توحيد نموذج نظرية النحو الوظيفي في النموذج ما بعد المعيار (المتوكل 2003، هنخفلد وماكنزي (2008)، المتوكل 2011) رغبة منهم في تحقيق أكبر قدر ممكن من الاقتصاد والبساطة، جاعلين الوحدة الدنيا موضوع التحليل اللغوي هي "الفعل الخطابي"، حيث تم إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب، حيث أصبح من الممكن أن يعدّ خطابا نص كامل أو جملة أو مُركب أو كلمة، كما هو مبيّن في الأسئلة الآتية:[6]

1-زارني إبراهيم اليوم، طلب منّي مبلغا ماليا فأعرته إياه، ووعدني بردّه في أقرب الآجال. (نص).

2-حضر درس اليوم كل الطلبة. (جملة).

3-أ-ماذا طلب منك إبراهيم؟ (جملة).

ب-مبلغا ماليا. (مركب)

4-صَهْ. (كلمة).

2-- المتن المدروس: النوعيّة والخصوصية:

انتقت الباحثة "نعيمة الزهري" أنماطا خطابيّة متباينة المجال (أدبي، علمي، إشهاري)، ومتباينة الآلية حينا (وصفي، سردي، حجاجي) ومتباينة المجال والآلية حينا آخر (أدبي وصفي سردي، إشهاري حجاجي) لتكون حقلا لتجريب تصوّرها النظري الذي تمثّلته، وفائدة هذا التنوع في عيّنات الدراسة مردّه إثبات طواعية، نموذج نحو الطبقات القالبي وانطباقيّته على مختلف الخطابات، لهذا فقد عمدت في الفصل الأول إلى دراسة خطابين متقابلين من حيث النّمط أدبي وصفي، وعلمي جغرافي، ومتقاربين من حيث الموضوع "أما الأدبي فمن جواهر البلاغة الملقاة على أنامل الأدبية "مي زيادة" تحت عنوان: "في عرض البحر وأما العلمي فمقتطف من كتاب المقدمات في الجغرافيا الطبيعية لمؤلفه "عبد العزيز طريح شرف"، ويحمل عنوان "البحار والمحيطات"[7]، وانتقت في الفصل الثاني خطابا في السيرة الذاتية "لعبد الغني أبو العزم" "الضريح والضريح الآخر"[8]، لتنفذ في الفصل الثالث إلى الخطاب الإشهاري، مستصدرة لوحة

إشهارية تروّج لسيارة BMW، مشفوعة بلوحات أخرى وبعض الوصلات الإشهارية في إطار التقابل والمقارنة[9]، لتقارب الباحثة في الفصل الرابع خطابا دينيّا ممثلا في قصة سيدنا يوسف عليه السلام في القرآن الكريم[10].

يبدو أنّ الباحثة قد انتقت عيّنات خطابيّة تستجيب ونموذجها التحليلي، وتحقق أهدافها المنشودة؛ إذ إنّها قاربتها في ضوء نموذج نحو الطبقات القالبي، بوصفها مقاربة لخصائص الخطاب التداولية والدلالية والتركيبية، وهذا الانتقاء يؤكد تركيز "نعيمة الزهري" على انسجام الخطابات المدروسة مع طبيعة النموذج المنهجي الذي تمثّلته.

يقتضي علميّا اختيار متون الدراسة وجود أسباب نظرية ومنهجية قائمة في ذهن الباحث، تجعله خطابا ما دون غيره، لكن ما يمكن قوله –مبدئيا– إنّ عدم اهتمام الباحثة بأسباب اختيارها للمتون يؤشر على اقتناعها التام بأنّ نموذج نحو الطبقات القالبي يسعى في مقاربة جميع أنماط الخطاب، لذلك عمدت إلى حدّ كل نمط خطابي، مبينة أهم سماته عند كل مستعمل للغة الطبيعية بدل الحديث عن أسباب اختيار المتون، فمثلا في العملية النقدية الأولى تعرف الخطاب الأدبي بقولها: "تفريعا عن تعريف الخطاب بأنه كل ملفوظ/مكتوب يشكل في حدّ ذاته وحدة تواصلية قائمة الذّات"، يمكن أن يُحَدَّ الخطاب الأدبي بأنّه نمط من أنماط الخطاب يتسم بسمتين اثنتين: الذاتية والفنية"[11]، وفي العملية النقدية الثانية تعرف خطاب السيرة الذاتية بأنها نمط من أنماط الخطاب يتسم أساسا بسمة الشخصيّة مفهوما، وأما ما صدقا فيشمل ما بين ما يشمله: اليوميات والمذكرات ومحي الحياة والمفكرة الإلكترونية والخواطر والوسائل الورقية والإلكترونية[12]، وفي العملية النقدية الثالثة تحد الخطاب الإشهاري على أنه نمط من أنماط الخطاب يتسم بالسمات الآتية:[13]

1-الإقناع من حيث الهدف (إغراء وتحذير).

2-الحجاج من حيث الآلية.

3-تضافر القنوات (اللغة، الإشارة، الصورة، الصوت).

أما الخطاب الديني فعرفته على أنه نمط من الخطابات يتّسم بالسمات التالية:[14]

-تقنينه للعبادات والمعاملات موضوعا.

-إلهيّته من حيث المصدر.

-حجاجيته من حيث الآلية ترغيبا وترهيبا.

مجلد: 11 عدد: 4 السنة: 2022
E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

-انقسامه إلى جمل وسور من حيث بنيته.

3-الممارسة النقدية:

يشمل عمل الباحثة "نعيمة الزّهري" أربع عمليّات نقدية كبرى، موزّعة على أربعة فصول، تضمن الفصل الأول العملية النقدية الأولى، والممثلة في تحليل تطبيقي، رصدت فيه مستويات الخطاب الثلاثة: مستوى بلاغي يتضمن ثلاث طبقات تؤشر للمركز الإشاري ونمط الخطاب وأسلوب الخطاب، ومستوى علاقي يستبطن طبقة الاسترعاء وطبقة الإنجاز وطبقة الوجه ومستوى تمثيلي (دلالي) يرتكز على طبقات ثلاث: الطبقة التأطيرية والطبقة التسويرية والطبقة الوصفية[15]، وفقا لنموذج نحو الطبقات القالبي، وقد تناولت الباحثة في هذه العملية خطابا لمي زيادة، وأشفعته بتحليل تقابلي لخطاب عبد العزيز طريح شرف على سبيل المقارنة، وذلك على أساس أنّ خطاب مي زيادة نمط خطاب أدبي وصفي، والخطاب الثاني علمي وصفي/مستثمرة آلية المقارنة.

-سعت الباحثة في العملية النقدية الثانية، والتي تقع في الفصل الثاني المعنون بـ "خطاب السيرة الذاتية" إلى تطبيق التحليل الوظيفي السابق على خطاب آخر، وهو مقتطف من السيرة الذاتية لعبد الغني أبو العزم "الضريح والضريح الآخر".

-لتنفذ في العملية النقدية الثالثة، والتي تقع في الفصل الثالث المعنون بـ "الخطاب الإشهاري" إلى تحليل وظيفي للوحة إشهارية، تروّج لسيارة BMW، مشفوعة ببعض الوصلات الإشهارية في إطار التقابل والمقارنة.

-أما العملية النقدية الرابعة والأخيرة فقد كرستها الباحثة لدراسة جزء يسير من الخطاب القرآني، متمثل في قصة يوسف -عليه السلام- المتفردة بمجال سورة كاملة.

وبعد عرض العمليات النقدية الأربع، سنتبعها ببسط أهم عناصرها في الجداول الآتية:*

الجدول 1: العملية النقدية الأولى

هدفها	-تبيين فعالية نموذج الطبقات القالبي في تحليله (الخطابين الأدبي والعلمي)
متنها	-خطاب لمي زيادة، يمثل الخطاب الأدبي الوصفي. -خطاب لعبد العزيز طريح شرف، يمثل الخطاب العلمي الوصفي.
نتائجها	-إثبات نجاعة نموذج نحو الطبقات القالبي في تحليل الخطابين الأدبي

الجدول 2: العملية النقدية الثانية

هدفها	-روز كفاية النحو الخطابية في وصف وتفسير خطاب السيرة الذاتية.
متنها	-مقتطف من السيرة الذاتية لعبد الغني أبو العزم "الضريح والضريح
نتائجها	-اختبار إجرائية نموذج نحو الطبقات القالبي في تحليل خطاب فعلي (حقيقي سيرة ذاتية واقعي).

الجدول 3: العملية النقدية الثالثة

هدفها	-إثبات الكفاءة الأدائية لنموذج نحو الطبقات القالبي في تحليله للخطاب الإشهاري.
متنها	-خطاب إشهاري يروّج لمنتجع سيارة BMW. -بعض الوصلات الإشهارية.
نتائجها	-التأكيد على نجاعة نموذج نحو الطبقات القالبي في مقاربة الخطاب الإشهاري.

الجدول 4: العملية النقدية الرابعة

هدفها	-النفاذ إلى الآليات السردية الخاصة بالقصص القرآني والوسائل التي توفرها اللغة العربية لتحقيق بنية الخطاب السردي ووظائفه، مستركزة قصة يوسف عليه السلام (تم نقل روز، فعالية النموذج لخصوصية المتن
متنها	-جزء يسير من الخطاب القرآني متمثل في قصة يوسف -عليه السلام- المتفردة بمجال سورة كاملة.
نتائجها	-الخطاب السردي في القرآن الكريم يباين مباينة تامة الخطاب السردي الحديث

تندرج أهداف العمليات النقدية الأربعة -على الصعيد المنهجي- ضمن البرهنة على كفاية النحو الخطابية، في وصف وتفسير الخطابات، وعلى الصعيد المعرفي البرهنة على انضواء الخطابات المختلفة إلى بنية نموذجية واحدة، لذلك سنعمد إلى فحص عناصرها، بغية الكشف عن مدى كفاءة الباحثة في إقناع القارئ بالكفاءة الأدائية لنموذج نحو الطبقات القالبي، وكفاءتها في البرهنة على انضواء الأنماط الخطابية المختلفة إلى بنية نموذجيّة واحدة.

تحاول مقاربة الباحثة "نعيمة الزهري" لمختلف الأنماط الخطابية تأطير نفسها ضمن الدراسات اللسانية الوظيفية، التي تهتم برصد خصائص الخطاب التداولية والدلالية والتركيبية، هذا ما يستوجب مشروعية التساؤل عن مدى نجاحها في تمثل مفاهيم النظرية الوظيفية وأسسها الإبستيمولوجية*، كما بلورها منظروها الغربيون الذين تلقفوا بدءًا بسيمون ديك (1978)، وتلقّفها وطوّرها نظريا وإجرائيا أحمد المتوكل وزملاؤه وتلامذته، كخطوة إجرائية في إثبات نجاعة النظريّة، ممثّلة في نموذجها نحو الطبقات القالبي (المتوكل (2003))

أزمعت الباحثة في كتابها "تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي" التصدي لموضوع إحراز الكفاية النمطية -التي تُعنى في شقها الثاني- بالمقاربة بين الخطابات وتنميطها، وقد شاغلها في ذلك تحقيق هدفين منشودين: (أ) البرهنة على إنتاجيّة نموذج نحو الطبقات القالبي (المتوكل (2003))، (ب) البرهنة على وجود بنية نموذجية للخطابات السردية والوصفية والحجاجية والدينيّة.

ولما كان هذا النموذج يستركز أطروحة مؤداها أنّ الخطابات مهما تباينت أنماطها آوية، إلى بنية تعورف على نعتها ببنية الخطاب النموذجية[16]، فقد عمدت الباحثة إلى استثمار مفهوم ثوابت البنية، للبرهنة على أنّ مختلف الخطابات المدروسة؛ سواء تعلق الأمر بالخطاب الأدبي الوصفي لمي زيادة، أو

الخطاب العلمي الوصفي لعبد العزيز طريح شرف، أو خطاب السيرة الذاتية لمؤلفها عبد الغني أبو العزم، أو الخطاب الإشهاري، أو الخطاب الديني، تنضوي جميعها تحت بنية نموذجية واحدة، وهي بنية ذات مستويات ثلاثة: مستوى بلاغي يتضمن ثلاث طبقات تؤشر للمركز الإشاري ونمط الخطاب وأسلوبه، ومستوى علاقي يستبطن طبقة الاسترعاء وطبقة الإنجاز وطبقة الوجه (مستوى تمثيلي (دلالي)) يرتكز على طبقات ثلاث: الطبقة التأطيرية والطبقة التسويريّة والطبقة الوصفية، وتندرج وحدات كل من تلك المستويات في هذه الطبقات التي تتعالق تعالقا سلمّيا فيما بينها[17]، إذ تقول في سياق البرهنة على ما تقدم "نأمل أن نكون قد أسهمنا مع المسهمين من زملائنا الوظيفيين في البرهنة على إمكان إرجاع أنماط الخطاب المختلفة إلى بنية عامة واحدة، بنية الخطاب النموذجية، "كما سطّرت في (المتوكل (2003)) (...) فأنماط الخطاب آيلة إلى بنية خطابية عامة واحدة، ثوابتها في التداول والدلالة والتركيب"، وفي السياق ذاته، سياق البرهنة على اندراج جميع الخطابات المدروسة ضمن بنية نموذجية ثابتة، استثمرت المفهوم السابق في وصف طبقي لبنية الخطاب، مصحوبا بوصف خطي لتلك البنية[18]، إذ لامسنا نموذجا بنويا واحدا، لجميع الخطابات المدروسة بدءً بالخطاب الأدبي الوصفي وانتهاء بقصة سيدنا يوسف عليه السلام في القرآن الكريم.

وفي مقابل ثوابت البنية فعّلت الباحثة مفهوم متغيّرات بنية الخطاب، كخطوة إجرائية صوب إثبات تمايز الخطابات السابقة فيما بينها مضمونا وشكلا، بالرغم من اندراجها ضمن بنية نموذجية واحدة؛ إذ إنّ "كل نمط خطابي يستتبع قيما إنجازية ووجهيّة وزمانية وجهيّة تخصّه وتميّزه عن باقي أنماط الخطاب، كما أنّ له خصائصه في انتقاء وسائل تحقيقهما معجما وصرفا وتركيبا[19]، وأثبتت —بما لا يدع مجالا للشك– أنّ توالي طبقات البنية الخطابية، والسلمية التي تنتظمها مردّه أنّ تواجد هذه الطبقات تضبطه قيود يمكن إعزاؤها إلى فئتين: قيود خطية تقنّن توارد طبقات المستوى الواحد، وقيود سلّمية تحكم تحديد عناصر مستوى معين من مستويات البنية لعناصر المستوى الذي يسفله، مع التأكيد أنّ تحديد قيم طبقات المستويين العلاقي والتمثيلي تابع لقيم طبقات المستوى البلاغي...[20]

ففي إطار المقارنة —التي استندت عليها الباحثة في إثبات تنميط الخطابات– بين الخطاب الأدبي الوصفي لمي زيادة والخطاب العلمي الوصفي لعبد العزيز طريح شرف برهنت على أنّ الخطابين متغايران، من حيث المخصّصات والوظائف، إذ تقول "تبدو الطبقة الوجهيّة في النّص الأدبي مغلّبة بشكل واضح، وقد تفرّدت السمّات الذاتية الانفعالية بالمجال الوجهي للنص برمّته (...) وأما فيما يخصّ النّص العلمي

فقد تمّ التنصيص على المعلومات العلمية المتعلقة بمفهوم البحر والمحيط في حياد وجهي ذاتي تام"[21]، وكذلك قولها "عن الميسور ملاحظته أنّ السمة التي تسم النص الأدبي زمنيّا هي حاضر التخاطب (le présent d'énonciation) أي زمن الفعل اللغوي الذي هو فعل الكتابة (...) ونأتي إلى النص العلمي فنلقي قيمته الزمنية متمثلة في "حاضر الحقائق الثابتة" (le présent de vérités générales)، بمعنى أن الزمن فيه هو اللازمن[22]. وعلى هذا الأساس برهنت الباحثة على أطروحة تنميط الخطابات، من خلال رصدها لمختلف المتغيرات الخطابية التي تطبع كل نمط خطابي على حدة.

وامتدادا لمفهوم متغيّرات النّمط استحضرت الباحثة مفهوم التغليب، الذي اتّخذت منه مبدأ في تنميط الخطابات، لما يتمتّع به من كفاءة إجرائية في تنميط اللغات[23]، أو بتعبير أدق هو انتقاء تغليبي، وليس انتقاء إقصائيا، يأخذ عناصر ويلغي أخرى[24]، وباستثمار الباحثة لمفهوم الانتقاء التغليبي، تمكّنت من إثبات أنّ اختلاف الخطابات آيل إلى الاختلاف في تشغيل قوالب نموذج مستعملي اللغة، وعلى هذا الأساس ميّزت وصنّفت الخطابات إلى نمطين رئيسيين؛ خطاب مغلّب للقالب التداولي، وخطاب مغلّب للقالب الدلالي، أو بين الخطاب الموجّه تداوليا، والخطاب الموجّه دلاليا؛ إذ تقول الباحثة في سياق حديثها عن طبقة المركز الإشاري في الخطاب الأدبي الوصفي: "المنطلق هو البحث عن ذات المتكلم في نصه، وقد تم التأشير الصّريح له (مي زيادة)، دون التأشير للمخاطب لعمومه (القارئ)، ومردّ ذلك أنّنا بصدد خطاب ذاتي؛ أي وصف لا محاورة؛ مما يشي بتغليب القالب التداولي على القالب الدلالي"[25].

أما في القصة القرآنية فيتغلب المستوى العلاقي على رديفه الدلالي؛ إذ تقول "وبما أنّ القصة موضوع الفحص تنضوي تحت السرد الذاتي، فإنّ إذا اعتمدنا المعايير المتداولة في تنميط الخطابات، والمحصورة في أربعة كبرى: المجال الأدبي، علمي، سياسي، إشهاري، إعلامي)، والقصد (إخباري، إقناعي، تضليلي...)، والآلية (سردي، وصفي، حجاجي،...)، والقناة (لغوي، صوري، رسم، شريط...)، يمكن القول –مبدئيا- إنّ الأنماط الخطابية التي اعتمدتها الباحثة في التحليل متنوّعة ومتباينة فيما بينها، فلا جامع بين تلك الخطابات لا مجالا ولا موضوعا ولا آلية ولا قناة، بل جعلت من ذلك التنوّع والاختلاف مطيّة للبرهنة على إنتاجيّة نموذج نحو الطبقات القالبي، وكفاءته الأدائية في مقاربة كل الخطابات، مهما كان نمطها، أو سماتها، وذلك بناء على مجموعة من الأطروحات المتلازمة، والتي اقتفت أثرها من أحمد المتوكل، وقد جاءت موزعة في الكتاب ويمكن إيجازها فيمايلي:

–ما تلبث معايير تصنيف الخطاب –السابقة الذكر– أن تنحلّ إلى أدوات إجرائية مفتقرة إلى الصرامة اللاّزمة، إذ إنّ نفس المجال يستخدم أكثر من آلية، يسوّغ اعتمادها في أكثر من مجال، ولا أدلّ على ذلك عن آلية الحجاج، التي يمكن أن نعتبرها مشغَّلة ولو بدرجات متفاوتة، في كل أصناف الخطاب، بما في ذلك ما يوصف بالخطاب العادي، فضلا عن أنّ قائمة المعايير تظل مفتوحة[26]، وما يؤكد ذلك حديث الباحثة عن آلية الحجاج في تحليلها للخطابين الإشهاري والديني، بالرغم من تباين الخطابين مجالا وموضوعا[27]. ذلك يعني فيما يعنيه تغليب المستوى العلاقي على رديفه التمثيلي، ويستتبع اتّساع رقعة القيم الإنجازية والوجهية"[28].

–أنّ مقاربة الخطابات على اختلاف أنماطها لا يستلزم بناء نظرية مستقلّة لكّل نمط، بل يجب أن تؤول إلى إطار نظري ومنهجي واحد، مع تكييف المقاربة مع السمات الجوهرية لكل نمط خطابي[29].

–الإوالية التي يقوم عليها تحقق عناصر نموذج مستعملي اللغة ليست انتقاء إقصائيا*، يأخذ عناصر ويلغي أخرى، وإنما هو انتقاء تغليبي، فاستخدام عناصر معينة، لا يعني إهمال العناصر الأخرى، وإنما يعني فقط أنّ العناصر الأولى مغلّبة على العناصر الثانية، ومن أمثلة ذلك أنّ في الخطاب العلمي يقل استخدام القالب الاجتماعي، بل يكون شبه منعدم، إذا ما قيس باستخدام القالبين المنطقي والمعرفي، وللقالب المنطقي خطوة خطوة في الخطاب الحجاجي مقارنة بالقوالب المساعدة الأخرى، وتقول في موضع آخر "بما أنّ الخطاب الإشهاري خطاب ذاتي، فإنه يستتبع تغليب المستوى العلاقي على المستوى الدلالي، وبالتالي هيمنة القيم الإنجازية والوجهية على القيم الزمنية والوجهية، وقد تبلغ الهيمنة منتهاها، فينسحب المستوى الدلالي أو يكاد، ويحصل ذلك في الحالات التي يكون فيها القصد من الخطاب التعبير عن الذاتيات (مواقف، انفعالات، أحاسيس...) "لافاش كيري هي العظمة، سيدي سيدي والعظمة"[30].

بناء على ما تقدم يمكن القول إنّ رفع الحواجز المصطنعة بين أنماط الخطاب، ومدّ جسور نظرية ومنهجية بين مختلف الخطابات، وتنسيب نموذج نحو الطبقات القالبي، وجعله ملائما لمختلف أنماط الخطاب، مكّن الباحثة من نقل النموذج من هدف برنامجي إلى هدف عملي[31]، ومكّنها أيضا من إقناع القارئ بإنتاجيّة النموذج وكفاءته الأدائية.

مجلد: 11 عدد: 4 السنة: 2022
E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

خاتمة:

في الختام يمكن القول إن كتاب الباحثة نعيمة الزهري "تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي" من الدراسات المتميّزة التي انبرت في تمحيص انطباقية نحو الطبقات القالبي، مسهمة مع المسهمين العرب في إحالة النحو الوظيفي إلى نظرية لسانية وظيفية قطاعية.

انطلاقا مما تقدّم يمكن تقديم بعض النتائج حول هذا المنجز كما يلي:

1-سعت الباحثة إلى تحقيق هدف منهجي الممثل في إثبات إنتاجية نموذج نحو الطبقات القالبي، والبرهنة على كفاءته الأدائية، وهدف معرفي يتمثل في البرهنة على إمكانية إرجاع مختلف الخطابات إلى "بنية نموذجية واحدة"، واللافت للنظر هو هيمنة الهدف المنهجي في الدراسة، وهذا يتماشى والأطروحة التي تنافح عنها الباحثة، الممثلة في إنتاجية النموذج وفعاليّته.

2-اتخاذ الباحثة من تنويع الخطابات المدروسة دليلا على إثبات إنتاجيّة النموذج المتّبع، لاستيعابه وانسجامه والمكوّنات النوعية لمختلف الخطابات.

3-تمكّنت الباحثة على الصعيد المنهجي من البرهنة على الكفاءة الإجرائية لنموذج نحو الطبقات القالبي، من خلال توظيفها لمفاهيم إجرائية، منبثقة من رحم النظرية اللسانية الوظيفية، كمصطلح ثوابت البنية، ومتغيرات النمط، والتغليب، واستثمار فعالية المفاهيم التحليلية الإنتاجية في تنميط الخطابات.

هوامش:

---

* لتتبع المؤشرات النقدية في كتاب الباحثة نعيمة الزهري استندت على الخطاطة التي اقترحتها الإبستيمولوجية جوهانا ناتالي، وبسطتها واعتمدتها عصبة من النّقاد المغاربة في دراساتهم في إطار مراجعة الدراسات النقدية واللسانية كدراسات: سحر الموضوع لحميد لحمداني، وأسئلة القراءة وآليات التأويل لفاتحة الطيب وآخرين، ونقد النقد لعبد الرحمن التمارة، ينظر حميد لحمداني، سحر الموضوع، (1990)، منشورات دراسات سال، وفاتحة الطيب وآخرون، أسئلة القراءة وآليات التأويل بين النقد ونقد النقد، (2015)، دار الأمان، الرباط، (المغرب)، وعبد الرحمن التمارة، نقد النقد، بين التصور المنهجي والإنجاز النصي، (2017)، كنوز المعرفة.

1-نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، ط1، (2014)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، الرباط، المغرب، (الجزائرà، (بيروت)، ص 13.

* -نحو الطبقات القالبي (functional grammar) من نماذج نظرية النحو الوظيفي، اقترحه أحمد المتوكل سنة 2003، وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم القالبية مزامنا لمفهوم القدرة التواصلية ومرتبطا به، وقد مرّ هذان المفهومان، منذ ظهورهما بمراحل، يمكن رصدها بإيجاز في:

1-البناء القالبي المعيار.

2-القالبية والخطاب الإبداعي.

3-التداول المدمج/ التداول القالبي.

ينظر أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، (2016)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، تونس، الرباط، المغرب، الجزائر، بيروت، ص ص 45-47، ومحمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي، الأسس والنماذج والمفاهيم، (2014)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، (الرباط)، (الجزائر)، (بيروت)، ص 114 وأحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، (2005)، دار الأمان، (الرباط)، ص 57.

2- نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، ص 99.

3- المرجع السابق، ص 133.

4- ينظر عز الدين البوشيخي، نموذج مستعمل اللغة الطبيعية، من النحو الوظيفي إلى النحو الوظيفي الخطابي، عزيز العماري وعبد الرحمن رحموني، اللسانيات الوظيفية، النظرية والنماذج والمقاربات، (2020)، كنوز المعرفة، عمان، (الأردن)، ص 121

5 - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، (2001)، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، (المغرب)، ص 15.

6 - المرجع السابق، ص ص 25-43.

7 - المرجع نفسه، ص 45.

8 - المرجع نفسه، ص 65.

9 - المرجع السابق، ص 83.

10 - المرجع نفسه، ص 105.

11 - المرجع نفسه، ص 46.

12 - المرجع نفسه، ص 65.

13 - المرجع نفسه، ص 82.

14 - المرجع السابق، ص 100.

15 - المرجع نفسه، ص 21.

*- استفاد البحث من تصميم الباحث عبد الواحد المرابط لعناصر العمليات النقدية ، ينظر عبد الواحد المرابط، النقد البنيوي العربي –دراسة في كتاب "الرؤى المقنعة" لكمال أبو ديب، فاتحة الطيب وآخرون، أسئلة القراءة وآليات التأويل، ص ص 235-257.

*- الأسس الابستيمولوجية للنظرية هي الأسس التاريخية التي حفت بظروف النشأة، والأسس الفلسفية التي أسست لظهور الفكرة، والأسس اللسانية التي أثرت في بلورة المنهج العلمي المعتمد لديها، ينظر خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، (2013)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، (الرباط)، (الجزائر)، (بيروت)، ص 35.

16 - المرجع السابق، ص 21.

17 - المرجع نفسه، ص 21.

18 - المرجع السابق، ص ص 45-132.

19 - المرجع نفسه، ص 133.

20 - المرجع نفسه، ص 133.

21 - المرجع نفسه، ص 49.

22 - المرجع السابق، ص 53.

23 - المرجع نفسه، ص 29.

24 - أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص ص 219-220.

25 - نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، ص 47.

26 - المرجع السابق، ص 29.

27 - المرجع نفسه، ص 82، ص 100.

28 - نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، ص 109.

29 - ينظر نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي وينظر أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص 220.

* - نموذج مستعملي اللغة نموذج يتكون من قوالب ترصد ملكات القدرة التواصلية، وتتفاعل فيما بينها، على أساس أن كل قالب يتمتّع باستقلال مبادئه وآلياته، لكنه يشكل دخلا-خرجا لباقي القوالب، ينظر محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي، ص 147.

30 - نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، ص 87.

31 - المرجع السابق، ص 19.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، (2016)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، (تونس)، (الرباط)، (المغرب)، (الجزائر)، (بيروت).

2- أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، (2005) دار الأمان، (الرباط).

3- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، (2001)، دار الأمان، الرباط، (المغرب).

4- أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، (2003) دار الأمان، (الرباط).

5- حميد لحمداني، سحر الموضوع ،أسئلة القراءة وآليات التأويل لفاتحة الطيب وآخرين، ونقد النقد لعبد الرحمن التمارة، ينظر حميد لحمداني، سحر الموضوع، (1990)، منشورات دراسات سال.

6- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، (2013)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، (الرباط)، (الجزائر)، (بيروت).

7- عبد الرحمن التمارة، نقد النقد، بين التصور المنهجي والإنجاز النصي، (2017)، كنوز المعرفة.

8- عزيز العماري وعبد الرحمن رحموني، اللسانيات الوظيفية، النظرية والنماذج والمقاربات، (2020)، كنوز المعرفة، عمان، (الأردن).

9- فاتحة الطيب وآخرون، أسئلة القراءة وآليات التأويل بين النقد ونقد النقد، دار الأمان، (2015)، الرباط، (المغرب).

10- محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي، الأسس والنماذج والمفاهيم، (2014)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، (الرباط)، (الجزائر)، (بيروت).

11- محمد عبد الرحمن خطابي، لسانيات النص وتحليل الخطاب، (2013)، دار كنوز المعرفة، عمان، (الأردن).

12- نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، (2014)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، (الرباط)، (المغرب)، (الجزائر)، (بيروت).